مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 28، جانفي 2021، ص - ص: 173 – 186
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

دبلوماسية الرسول ﷺ في رسائله إلى ملوك وأمراء العالم

Kings and princes and leaders around the world; the diplomatic; prophet peace and blessings be upon him

د/ لدمية عابدي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة العربي التبسي- تبسة
مخبر الانتماء: **البحث في دراسات الإعلام والمجتمع**
ladmia.abdi@univ-tebessa.dz

تاريخ الإرسال: 2020/07/17 تاريخ القبول: 2020/12/20

الملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الأسلوب الدبلوماسي العظيم الذي اتّبعه الرسول ﷺ لدعوة ملوك وأمراء العالم إلى الإسلام لإرساء مبدأ عالمية الدعوة، فوضع منهاجا لمخاطبة العالم شرقه وغربه، ملوكه وشعوبه، أبيضهم وأسودهم متجاوزا كل الحدود السياسية والعوائق الطبيعية، فكتب إلى ملوك وأمراء العالم وزعمائه يدعوهم للإسلام، محمّلا كل واحد من هؤلاء في خطاباته إليهم مسؤولية هداية الجماهير الخاضعة لسلطانه.
توصلت الدراسة إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام يختار الرسل الذين يحملون الرسائل إلى الملوك والأمراء على أساس حسن الصورة والمنظر والفطنة والذكاء وحسن الأخلاق وبأسلوب واضح معتمدا في التعبير على الإيجاز غير المخل بالمعنى، بل الذي يزيده دقة ووضوحا.
الكلمات المفتاحية: دبلوماسية ؛ الرسول ﷺ؛ الرسائل؛ ملوك وأمراء العالم.

Abstract:
The purpose of this study is to shed light on the importance of the diplomatic way in which the prophet propagates Islam among the kings and princes of the world in order to consolidate the principle of the universality of the Daawah (propagation of the message of Islam). In this sense, he has developed a methodology to connect with the entire world from East to West, including kings and peoples, with their black and white color exceeding all political boundaries and all natural obstacles. He wrote to kings and princes and leaders around the world to spread Islam, he handed over his messages to these recipients and he charged them with the responsibility of guiding the masses under his leadership.
The study concluded that the prophet, peace and blessings be upon him, chooses the apostles who carry messages to kings and princes on the basis of good image and morals in a clear and reliable manner, expressing the unambiguous brevity of the meaning.
Key words: the diplomatic; prophet peace and blessings be upon him; messages; kings and princes and leaders around the world.

مقدّمة:

لقد ظلت الدعوة الإسلامية منذ أن أمر الله تعالى ورسوله بالصدع (الجهر) بها في مكّة تبحث لها عن دولة تقوم عليها وتقوم بها، إلى أن يسّرالله تعالى لها الهجرة إلى المدينة، وتأسيس أول دولة عالمية للدعوة العالمية، نواتها ومركز انطلاقها من عاصمتها (المدينة المنورة)، فتمكّن المسلمون بقيادة رسول ﷺ من تأسيس أول دولة في الإسلام، تضمن لهم حماية دينهم، وحرية ممارسة شعائره بعد أن هاجروا إلى يثرب وكان ذلك في 12 ربيع الأول سنة 1 هـ الموافق لـ28 سبتمبر 622 م (وهو تاريخ نزول رسول ﷺ المدينة)[1].

لكن الاستعدادات الأولية لإنشاء هذه الدولة كانت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وبالتحديد بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، والمتأمّل في سبب استجابة هؤلاء النفر إلى دعوة رسول ﷺ ليجد أنّه تمثّل في رغبتهم في توحيد جماعتهم المتنافرة (الأوس والخزرج) وطموحهم في علوّ كفّتهم على كفّة اليهود الذين كانوا هم المسيطرين على يثرب[2].

فالهجرة إلى المدينة المنورة من أهم أحداث تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ جاءت نتيجة لجهود متواصلة للحفاظ على الدعوة، وبناء صرح يضمن لها الحماية والاستمرار، لذلك كانت الهجرة ذروة العمل المتصاعد لإنقاذ العقيدة، وبناء المجتمع الجديد[3].

ولمّا كانت دعوة الإسلام دعوة عالمية، كان لزاما على رسول ﷺ أن يعطي لهذه الصفة واقعا تطبيقيا في وقته، فاتّخذ من الوسائل المتوفرة في عصره عونا على هذا التطبيق، ومن هذه الوسائل، إنشاء علاقات دبلوماسية هدفها الأول والأخير الإعلام بالدين الإسلامي ونشره، فأرسل الرسل يحملون المذكرات الدبلوماسية للملوك والأمراء وشيوخ القبائل في شبه الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم للإسلام، كما استقبل رسل الملوك والأمراء وشيوخ القبائل وأكرمهم وعاملهم معاملة دبلوماسية رفيعة، انطلاقا من حسن شخصيته، وتربيته العربية العريقة، وما جاء به الإسلام من قيم وأخلاق أصيلة أوجبت معاملة الرسل المعاملة التي يستحقونها.

تساؤلات الدراسة:

1- هل تجسد رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الأمراء والملوك مظهرا من مظاهر الدبلوماسية والعلاقات الدولية ؟

2- هل استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام تطبيق عالمية الإسلام من خلال هذه المراسلات؟

3- ما الأثر الإقناعي لهذه الرسائل؟ وهل كان لشخصية السفراء والمبعوثين (حاملي الرسائل) دورا في تقوية هذا الأثر الإقناعي؟.

أهمية الموضوع: عندما فكّر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في دعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام، اتبع طريقا دبلوماسيا عظيما لإرساء مبدأ عالمية الدعوة، فوضع منهاجا لمخاطبة العالم شرقه وغربه، ملوكه وشعوبه، أبيضهم وأسودهم متجاوزا كل الحدود السياسية والعوائق الطبيعية، فكتب إلى ملوك وأمراء العالم وزعمائه يدعوهم للإسلام، محمّلا كل واحد من هؤلاء في خطاباته إليهم مسؤولية هداية الجماهير الخاضعة لسلطانه. فهذا المنهج المجسد للعرف الدبلوماسي الحديث يستحق الدراسة والتحليل.

تكمن أهمية هذه الدراسة أيضا في محاولتنا لتبيان أن هاته المفاهيم الحديثة التي توصل إليها العلماء، كمصطلحات لم تستخدم إلا حديثا، لكن الممارسات الدالة عليها تظهر واضحة جلية في سلوكات الرسول ﷺ المؤيدة بالقرآن الكريم لتبليغ الدعوة، وتقريب فكرة الإسلام في أذهان المتلقين، ومن ثمّ فأهمية هذه الدراسة تكمن في تحقيق الربط العلمي لسيرة رسول الله ﷺ بالبحوث والدراسات الحديثة.

أهـداف الدراسة:

- التعرف على شروط نجاح العلاقات الدبلوماسية من خلال مميزات الرسول ﷺ كأول دبلوماسي في الإسلام.
- الكشف عن مواصفات مبعوثي وسفراء الرسول ﷺ إلى ملوك وأمراء العالم.
- الاطلاع على أهم أشكال العلاقات والمعاملات الدبلوماسية للرسول ﷺ وهي مراسلة ملوك وأمراء العالم لضمان عالمية الدعوة الإسلامية.
- الإطلاع على الأساليب الإقناعية للرسول ﷺ في رسائله إلى الملوك والأمراء.

الدراسات السابقة:

- دراسة الباحثتان ميساء علي روابدة وعزيزة صالح عليوة بعنوان **السياسة الخارجية في ضوء السنة النبوية**[4]، حيث تناولت هذه الدراسة مسألة بالغة الأهمية في مجال العلاقات الدولية في الإسلام وهي السياسة الخارجية التي تقيمها الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول، واعتمدت الباحثتان في ذلك على المنهج الاستقرائي والتحليلي الذي يستقرأ المادة العلمية المتعلقة بالدراسة من مصادرها، ويحلّلها كما لم تخل الدراسة من المنهج المقارن الذي يبرز المفارقة بين السياسة الخارجية الإسلامية وغيرها، ومدى استفادة القانون الدولي من هذه المسألة.

وتوصلت الدراسة إلى أن السنة النبوية لها فضل السبق في إرساء دعائم أصول السياسة الخارجية، حيث أقام النبي ﷺ أسس هذه السياسة وجعلها أنموذجا في القدوة من خلال عقده المعاهدات، وإيفاده السفراء واستقباله المستأمنين وتنظيم العلاقات بين الدول المحيطة بدولة الإسلام الأمر الذي أقرّ به العالم في العصور الحديثة.

تشابهت هذه الدراسة مع دراستنا في تناولها لأشكال العلاقات الدبلوماسية في عهد النبي ﷺ، ومحاولة إجرائها لمقاربة نظرية بين المفاهيم الدعوية والمفاهيم الحديثة.

- دراسة الباحث عبد الهادي التازي بعنوان **الحصانة الدبلوماسية في مفهوم السيرة النبوية**[5]، حيث أراد الباحث من خلال هذه الدراسة النظرية التعرف على الحصانة الدبلوماسية للرسول ﷺ كمرجع ثري صاف غير مشوب بأية صنعة أو افتعال، فقد فرض نفسه على الباحثين والمتتبعين وكون لذاته أساسا قويا من أسس التعامل الدولي منذ العصر الوسيط.

فتحدث الباحث عن أسس معاملة الدبلوماسيين والمبعوثين السياسيين من خلال سيرة الرسول ﷺ في استقبال الوفود التي كانت ترد عليه بقصد الاستطلاع والاستفسار، وقدم أمثلة ونماذج قيّمة في ذلك.

ولم ينس الباحث تبيان شروط الرسول ﷺ في التعامل مع رسله وسفراءه إلى العشائر والقبائل والأمم والشعوب.

تقاطعت هذه الدراسة مع دراستنا في اعتبار الأخلاق أساسا لكل العلاقات والمعاملات، وقد أولى لها الرسول ﷺ أهمية كبيرة في علاقات المسلمين مع غيرهم إذ يعد ربط الأخلاق بالسياسة في التعامل الدولي من أهم إسهامات الدبلوماسية العربية الإسلامية.

منهج الدراسة: بما أن الموضوع دراسة تأصيلية تعنى بماضي الاتصال وجذوره التاريخية، وتتناول بالبحث حوادث وأحداث ماضية، استعنا بالمنهج التاريخي لتتبعها والتعرف عليها والتأكد منها،فالمنهج التاريخي هو المنهج المستخدم في دراسة الوقائع التي هي في حكم الماضي، بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي يقوم أساسا على جمع البيانات الأساسية والوثيقة التي لها صلة بالموضوع وذلك للكشف عن الأوضاع والوصول إلى الحقائق والنتائج.

الإطار النظري:

1. مفهوم الدبلوماسية في دولة الإسلام الأولى: لم يستعمل المسلمون لفظ "الدبلوماسية" بطبيعة الحال، لأن هذه الكلمة لم تكن معروفة لهم،غير أنهم مارسوا الدبلوماسية في دلالتها ومعناها، فقد نظّموا علاقاتهم بغيرهم من الدول والشعوب، واستخدموا في ذلك الوسائل الحربية والسلمية بطريقة رائدة، كما مارسوا الدبلوماسية من خلال أساليب التفاوض والمعاهدات والمراسلات، وتبادل المصالح وما اتسمت به هذه الأساليب من فنون الكياسة والفطنة واللياقة[6].

ففقهاء الشريعة الإسلامية لم يستخدموا مصطلح الدبلوماسية ويطلقون على القواعد التي تنظم العلاقات الدولية في وقت السلم والحرب وإرسال الرسل واستقبالهم **"بقواعد السير"** وهي تعني سياسة الرسول ﷺ الراشدة أو القيادة الحكيمة أو التصرف الكريم في السلم والحرب، مع الأصدقاء والأعداء، وأخلاقه ومعاملته لأصحابه وكياسته للرسل، واختياره للرسل وعلمه وعدله ورحمته، والذكاء والخبرة التي يتمتع بها النبي محمد ﷺ في أسلوب نشر الإسلام، ومدى تأثير شخصيته في إدارة الإسلام الدولية في زمن السلم والحرب، واختياره الرسل لحمل رسائله للملوك والأمراء وشيوخ القبائل، وكيفية استقباله الرسل وطريقة التفاوض معهم ومنحهم الامتيازات والحصانات الدبلوماسية، وعقد الصلح والهدنة والتحالف مع الآخرين وتسوية المنازعات بالوسائل السلمية، وتبادل التهاني والتعازي وقبول الهدايا وإرسالها لمن يراه أهلا لها. ونلاحظ أن مصطلح "السير" في الفقه الإسلامي أوسع بكثير من مصطلح الدبلوماسية اليوناني المستخدم حاليا، فالسير تعني إدارة سياسة الدولة الداخلية والخارجية، بينما تعني الدبلوماسية إدارة سياسة الدولة الخارجية[7].

فلقد أعطت دولة الإسلام الأولى للدبلوماسية العربية، أبعادا أخرى أكثر اتساعا وتنوعا، فقد خرجت بها عن الحدود التي رسمت لها في العصر الجاهلي، حيث تطور المفهوم التجاري للدبلوماسية إلى مفهوم سياسي واجتماعي، ذلك أن الدبلوماسية في عهد النبي ﷺ أصبحت وسيلة فعالة لنشر تعاليم الإسلام، وأداة لتنظيم الاجتماعات والمؤتمرات وعقد المعاهدات[8].

كما ساهمت في انتقالها من كونها دبلوماسية قبلية تنحصر بين القبائل العربية ونادرا جدا ما تتسع لتشمل كيانات سياسية غير عربية، إلى دبلوماسية دولية تتجه بالدرجة الأولى إلى تلك الكيانات الكبرى كالروم والفرس، وذلك بفضل توحّد العرب في دولة واحدة استطاعت أن تنافس باقي الدول الكبرى في ذلك الوقت[9].

2. مميزات الرسول ﷺ كأول دبلوماسي في الإسلام: وفيما يلي سنتطرق إلى مميزات شخصية الرسول ﷺ كأول دبلوماسي في الإسلام:

- لا يمكن أن يكون الشخص دبلوماسيا ما لم يتميز بصفتين هما: حسن المظهر وحسن الخُلق، أي حسن الشكل وسلامة الجوهر، وتبذل الدول المتقدمة جهودا مضنية في اختيار دبلوماسييها ممن يتمتّعون بشكل ومظهر خارجي جذاب، ومن أصحاب القابليات الذهنية المتميزة، وقد اجتمعت في النبي محمد ﷺ جميع مميزات الدبلوماسي الناجح في آداء مهمّته، سواء تعلق منها بالشكل أو ما تعلق منها بالجوهر، فقد تولى الله تعالى إكمال مميزاته وأوصافه بصورة لا يمكن أن نقارنه مع بقية البشر فقد أعدّ لمهمّة لا يقدر عليها البشر العادي.

-من المسلّمات التي يجب أن تتوافر في المبعوث الدبلوماسي، هي أن يكون فصيح اللسان تمكّنه فصاحته من التعبير عن أفكار مرسله بصورة واضحة، وأن يوصل المطلوب للمرسل إليه بيسر وسهولة، وأن يستخدم الألفاظ والمعاني المناسبة بحسب فهم وإدراك المرسل إليه وقدرته على الفهم، ويستخدم الكلمات الفصيحة الجميلة التي تجذب السامع إليه، وقد كان النبي محمد ﷺ أفصح أهل الأرض، وكان عذب الكلام، سريع الأداء، حلو المنطق، يأخذ حديثه بالقلوب، ينطق بكلام مفصل مبيّن، يستطيع السامع أن يعيد كلماته، لأنه ليس مسرعا ولا منقطعا، تتخلّله فترات السكوت وهي فترات التأمّل للمتكلم والمستمع[10].

-وتقضي القواعد السليمة في خُلق الدبلوماسي وقدرته، أنه لا يتكلم إلا بعد أن يستمع من الطرف الآخر ما عنده من آراء ومقترحات، وبعد أن يفرغ الطرف الآخر ما عنده تتضح الصورة جلية أمامه لكي يحدد الموقف الذي يراه مناسبا، وقد كان النبي محمد ﷺ دبلوماسيا في هذا المجال، فلا يتكلم إلا بعد أن ينهي الطرف الآخر من الكلام، ثم يسأله "لقد فرغت"، ومن بعد ذلك يبدأ الكلام بعد أن استوعب ما لدى الطرف الآخر وفهم مقاصده وما يريده.

-تظهر براعة الدبلوماسي عندما يجيد لغة القوم المرسل إليهم، ولهذا تحرص الدول المتقدمة على أن ترسل مبعوثيها ممن يجيدون لغة الدولة التي يبعثوهم إليها لكي يتمكنوا من آداء مهمّتهم بصورة جيدة، ذلك أن الترجمة غالبا ما تخلق حاجزا نفسيا بين المتخاطبين، وقد لا يؤدي المترجم مهمّته بصورة جيدة، ومن ثمّ فمن مميزات الدبلوماسي الناجح أن يتقن اللغات واللهجات المختلفة بصورة صحيحة، ويعد ذلك من أهم مقومات عمله، إذ أنه يستطيع معرفة المقصود وإيصال المطلوب للآخرين بسهولة[11]، وقد كان النبي ﷺ يخاطب كل قوم بلسانهم على اختلاف لغاتهم وتراكيب كلماتهم، فتراه يخاطب الحضري بكلام سهل، ويخاطب البدوي بكلام متوّرع الألفاظ، وما كان ذلك منه إلا بقوّة إلهية وموهبة ربانية.

-اعتبر الإسلام الأخلاق أساسا لكل العلاقات والمعاملات، وأولى لها أهمية كبيرة في علاقات المسلمين مع غيرهم إذ يعد ربط الأخلاق بالسياسة في التعامل الدولي من أهم إسهامات الدبلوماسية العربية الإسلامية، فالفضيلة والأخلاق لم تعتبرا مسألتين شخصيتين بل مسألتين متعديتين، لا ينفصل فيهما السلوك العام عن السلوك الخاص[12]. كما أمر المسلمون بالتزام أحسن الأخلاق وأفضلها مع غيرهم حتى تكون علاقاتهم ترجمة صادقة عن الإسلام، وكان رسول الله ﷺ القدوة في ذلك، فقد اتّبع في علاقاته مع الدول والملوك والزعماء أرقى أساليب التعامل وأفضلها فكان بذلك نموذجا يحتذى به، وكان سفراؤه ورسله يثبتون حسن تربيتهم وصلاحهم لمهامهم من خلال تعاملهم بالحكمة والكياسة والفطنة مع الملوك والزعماء الذين يذهبون إليهم[13]، وعلاوة على هذه الأخلاق التي اتسم بها الرسول ﷺ، وأصحابه في البعثات والمراسلات، فقد اتصفوا باحترام العهود والمواثيق وعدم الغدر والخيانة في أشكال دبلوماسية أخرى.

-الإسلام دين يدعو إلى السلم ويفرض على المسلمين نشره بين الناس وإقامة العلاقات معهم على أساسه، ولذلك لا يلجأ الإسلام في حل المشاكل إلى الحرب إلّا حين تعجز الوسائل السلمية الأخرى، وتصبح الحرب ضرورة لابد منها، فالمتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ثم من جاء بعده من الخلفاء يدرك أن نشر الإسلام كان أصلا عن طريق العلاقات السلمية، وما الحرب إلا وسيلة أخيرة أملتها الظروف على المسلمين، فقد كان من هدي رسول الله ﷺ أنه يراسل غير المسلمين ليعلمهم بالإسلام ويدعوهم إليه ويقيم عليهم الحجة قبل أن يقاتلهم، كما ترك ﷺ أهل الكتاب من اليهود والنصارى على دينهم ولم يكرههم على الإسلام، بل واعتبر اليهود الذين كانوا في المدينة أفرادا في الأمة الإسلامية.

تلك كانت أهم مميزات ومبادئ شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كأول دبلوماسي في الإسلام.

3. صفات مبعوثي الرسول ﷺ إلى ملوك وأمراء العالم: لقد كان رسول الله ﷺ القدوة في اختياره لرسله وسفراءه، فقد كان عليه الصلاة والسلام يختارهم من بين الصحابة الكرام الذين شهد لهم بالمكانة والمعرفة والذكاء، ومن أهل الفضل والعلم الذين يستطيعون أن يبلّغوا رسالة رسول الله ﷺ، وكان من أبرز الرسل والسفراء الذين أرسلهم رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر الروم، وعبد الله بن

حذافة السهمي إلى كسرى فارس، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وأرسل عمر بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، وعمرو بن أمية الضميري إلى النجاشي... وغيرهم من الرسل[14].

فقد أظهر هؤلاء السفراء براعة وحسن تصرف في محاورتهم للملوك الذين ذهبوا إليهم وفيما يلي سنتعرف على صفاتهم[15]:

3-1. الصفات الخلقية: فحسن الخلق يحفظ للسفير مكانته الرفيعة واحترامه أمام الآخرين وتقديرهم له ولرسالته التي يحملها، كما أنه بخلقه الحسن يعطي صورة حسنة عمن أرسله، ولذلك لابد للسفير من صفات خلقية: كأن يكون عفيفا نزيها، أمينا لا يقبل الرشوة، وأن يكون جيد اللسان لا تبدو منه البذيئة....

3-2.الصفات الظاهرية: فقد كان ﷺ يختار رسله من بين الذين اتصفوا بحسن المظهر وجمال الخلقة، حتى يكون في ذلك انشراح وقبول لدى من يرسلون إليه، فإن الصورة تنشرح برؤية صاحب الصورة الحسنة، ويساعد ذلك على الاقتناع بالرسالة ، فكان رسول الله ﷺ حكيما في اختيار الرسل، فليس كل سفير يصلح لأي بلد، ولا كل صيغة تناسب أي ملك أو حاكم فقد اختار ﷺ لكل مكان السفير الذي يعرفه حق المعرفة ويعرف لغته وقومه، وإذا رأوه اعتبروه منهم، لا يختلف عنهم في سمته ولهجته، حيث كان اختيار الرسول ﷺ لسفرائه وحملة كتبه لا يتم إلا بعد دراسة دقيقة ومعرفة تامة لهم وثقة في قدرتهم على إثبات وجودهم وتمثيل النبي ﷺ تمثيلا صحيحا، وتوصيل رسالته توصيلا دقيقا[16].

3-3. الصبر والحلم: فالصبر خير في كل أمر وهو في السفارة والابتعاث واجب لأن السفير يحاور ويناقش وقد يتعامل مع من لا يحترمه، كما يحتاج لذلك في مهماته الصعبة كالتوفيق بين دولته والدولة التي أرسل إليها في أمر شائك، كعقد صلح أو غيره فإنه يحتاج إلى الصبر والحلم وعدم التسرع في اتخاذ القرار، وقد يتعرض السفير إلى الشدائد والمحن فيكون الصبر والحلم عونا له في ذلك.

3-4. الشجاعة والجرأة: وممّا يتمم الصبر والحلم أن يتصف المبعوث كذلك بالشجاعة والجرأة، فالصبر والحلم قد ينقلبان إلى ذلة ومهانة إذا لم يكن السفير جريئا شجاعا في تبليغ رسالته وأداء أمانته.

3-5. الثقافة والعلم والاطلاع الواسع: فالسفير لسان من أرسله، وصورة من أوفده، وكتابه المفتوح الذي يعبر عنه، فإن كان ذا ثقافة واطلاع وعلم ومعرفة، أحسن في إعطاء صورة جميلة عمّن أرسله، وإن كان جاهلا لا يعلم شيئا تخبط في حديثه، وأساء في عرضه، ولا تتحقق هذه الصفة إلا بطول اطلاع ونظر ومثابرة وجد في تحصيل كل علم.

4. أهم أشكال العلاقات الدبلوماسية للرسول ﷺ: تتمثل أهم أشكال العلاقات الدبلوماسية للرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطراف والدول والكيانات الأخرى فيما يلي:

4-1. إرسال المبعوثين: لقد اهتمت الدولة الإسلامية بالرسل والسفراء والمبعوثين اهتماما كبيرا يعبّر عن الدور الكبير الذي يقوم به هؤلاء، حيث كانوا يقومون بمهمّة عظيمة لدى الدول التي أوفدوا إليها، وكانت هذه المهمة تتمثل في دعوتهم لدين ا، وتبليغ رسالة الله للناس كافة انطلاقا من الدور الأساس للدولة الإسلامية وهو الدعوة إلى الله، فكان هذا الهدف يدفع الدولة الإسلامية منذ قيامها في المدينة إلى إرسال الرسل والسفراء والمبعوثين إلى الملوك والدول والشعوب لدعوتهم إلى دين الله وبيان فضائله ومحاسنه ويوضح الدكتور سعيد عبد الله حارب المهيري " كانت هذه السفارات والكتب النبوية عملا بديعا من أعمال الدبلوماسية بل كانت أول عمل قام به الإسلام في هذا الميدان، ولم يكن النبي ﷺ يتوقع أن يلبي أولئك الأقوياء دعوته، وهو ما يزال يكافح في بثها بين قومه وعشيرته، بيد أن إيفاد هذه البعوث كان عملا معمّما للرسالة النبوية "[17].

2-4. استقبال الوفود: وكما اهتمت دولة الإسلام الأولى بإرسال الرسل والمبعوثين إلى الدول والبلدان الأخرى، أعطت لمسألة استقبال الوفود أهمية عظيمة، من حيث توفير الأمن والحماية لهم حتى يؤدوا مهامهم في ظروف ملائمة، ونهى ﷺ عن التعرض لهم بسوء، ومن يطلع على سيرة الرسول ﷺ يجد النموذج الحي لهذه التعاليم، فقد كان ﷺ يكرّم السفراء ورؤساء الوفود الذين يأتون إليه، ويعاملهم بما يستحقون من التقدير والاحترام حتى يؤدوا مهامهم ويعودوا إلى أوطانهم مطمئنين بعد أن تعرفوا على الإسلام وفضائله، وكان ذلك دعوة لهم للإسلام والدخول في دين الله[18].

وكان رسول الله ﷺ يرى في هذه الوفود الخير، فيكرمها ويعلّمها، ويبيّن لها كل ما تحتاج إليه، وكانوا يسألونه ﷺ ويجيبهم، فسمعوا منه، وشهدوا بعض مواقفه وأفعاله، وشاركوه ببعض الطاعات والعبادات، ورأوا كثيرا من تصرفاته، فكان لهذه الوفود أثر بعيد في تبليغ كل هذا إلى من ورائهم، وكان لهم دور إعلامي كبير في نشر الإسلام وبيان أحكامه[19].

هذا ولقد كان تعامل رسول الله ﷺ مع أعضاء الوفد تعاملا دالا على أسلوب اتصالي بارع حيث روي أن النبي ﷺ كان يتجمّل للوفود[20].

وإضافة إلى الوفود الداخلية التي كانت تقدم على دولة الإسلام الأولى منذ السنوات الأولى من تأسيسها، ففي العام الذي تلى فتح مكة، وفد على دولة الإسلام الأولى وفود كثيرة من كل أنحاء الجزيرة العربية، قال ابن إسحاق: " لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، قال ابن هشام:.... أنذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود"[21].

3-4. عقد المعاهدات: تعني المعاهدة في العلاقات الدولية اتفاق يعقد بالتراضي بين دولتين أو أكثر، يحدث نتائج قانونية ويعالج قضايا معينة كتسوية قضية سياسية أو إنشاء حلف، أو تحديد حقوق والتزامات كل منها، أو تبني قواعد عامة تتعهد بمراعاتها[22].

وقد لجأت دولة الإسلام الأولى إلى المعاهدات منذ أيامها الأولى، فقد اتخذتها وسيلة لتنظيم شؤونها الخارجية وحفظ أمنها الداخلي والخارجي حتى تتمكن من نشر الإسلام فكان منها معاهدات عقدت في زمن الحرب وأخرى عقدت في زمن السلم، وقد شملت كل واحدة منها على مواضيع مختلفة كالصلح والهدنة والموادعة والأسرى وغيرها من أمور الحرب ومعاهدات الأمان وحسن الجوار والتبادل التجاري وغيرها من المعاهدات السلمية[23].

أمّا عن المعاهدات التي عقدتها دولة الإسلام الأولى في وقت السلم فهي كثيرة جدا منها معاهدات الجوار حيث تعتبر المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى يثرب مع اليهود مثالا طيبا لهذا النوع، فقد عاهد الرسول اليهود، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم[24].

إن مثل هذه المبادئ ساعدت على إعطاء صورة حسنة عن المسلمين ودينهم الأمر الذي دفع بعض المؤرخين إلى القول: أن سرعة انتشار الإسلام في المشرق يرجع إلى احترام المسلمين لمواثيقهم التي أبرموها مع الدول غير الإسلامية[25].

4-4. المفاوضات: لجأت دولة الإسلام الأولى إلى المفاوضات كأسلوب لإقناع الخصم بطبيعة موقفها وصحّة الرسالة التي تدعو إليها، وأيضا كوسيلة لتكوين أرضيّة مشتركة تمهّد لإبرام معاهدة أو حلف أو صلح أو غيرها، فالمفاوضات تعدّ القاعدة الأساسية لجميع الوسائل الدبلوماسية الأخرى[26].

وقد استخدم الرسول ﷺ فضلا عن أسلوب المفاوضات المباشرة، أسلوب المفاوضات غير المباشرة، بتفويض رسل يحملون رسائل منه سواء كانت شفهية أو كتابية، ولم يتخل ﷺ عن حسن أخلاقه ومعاملته

الطيبة التي امتاز بها في مفاوضته مع خصومه، فبالرغم من أنه كان جادا وواثقا من نفسه إلا أن أسلوب حواره كان ليّنا بعيدا عن الغلظة والعنف، لا يذكر سوء ولا فحشا يسيء به إلى الخصم، ولا يقاطعه إذا تكلّم، بل يمهله حتى يفرغ من كلامه ثم يبادر بالرد، وغيرها من الصفات الحسنة التي اتصف بها ﷺ.

5. دراسة وصفية لرسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء العالم

1.5. أهمية رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك و أمراء العالم: لما كان نشر الدين الجديد والإعلان عن الدولة الإسلامية يتطلب إشعار الدول الأخرى بوجودها والتواصل معها، فلجأ النبي محمد ﷺ إلى مراسلة الملوك والأمراء وشيوخ القبائل بالمذكرات الدبلوماسية وبشكل يدل على تطور وتقدم دولة المسلمين، حيث كان عليه الصلاة والسلام واثقا من قوة دعوته وعلو رسالته ونصر الله له.

فقد كان رسول الله ﷺ على علم وبيّنة بما كانت عليه القوى السياسية المستنفذة في العالم، وما تعانيه من مشاكل وصراعات وأزمات أخلاقية ودينية، وما تمارسه من ظلم واضطهاد لرعاياها، ولهذا فقد وجد النبي محمد ﷺ الفرصة مواتية، وأن الوقت قد حان لأن يدعو حكامها إلى الإيمان بالله وتطبيق العدل والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[27].

ولم يتجه النبي محمد ﷺ صوب الأمم والشعوب المتخلّفة البدائية لنشر رسالته، لأن مقدار ما تفهمه هذه الأمم والشعوب لا يرقى إلى فهم أحكام الشريعة الإسلامية القائمة على المنطق والحجة والفهم الصحيح، فلم يبعث إلى الشعوب الإفريقية المتخلفة المجاورة رغم شمولها بحتمية الرسالة، بل أنه فضّل أرقى الحضارات المعاصرة له، لأنها تملك من القدرة والوعي ما يؤهّلها إلى فهم وإدراك محتوى الرسالة الإسلامية، واتجه إلى القمم وخاطبها، ولم يبدأ بالقواعد العريضة، لأنه يدرك أن استجابة الملك أو الأمير تتبعها استجابة الدولة برمّتها[28]. وقد أدرك النبي محمد ﷺ أبعاد أهمية الرسائل الدبلوماسية التي أرسلها إلى الملوك والأمراء من خلال النقاط التالية[29]:

1. أن الله لا يحاسب الفرد الذي لم يبلّغ بالدعوة الإسلامية، ومخاطبة الملوك والأمراء يعني وضعهم أمام حساب الله، خاصة وأن الرسالة الإسلامية للناس كافة وأن المطلوب هو إيصالها للجميع.

2. إن مخاطبة الملوك تقلّل من حقدهم على الإسلام فهو وإن كان له موقف ثابت فانعدم إشعاره أو الطلب منه قد يفسّر بعدم الاهتمام به، فبعض الملوك رغم عدم إسلامهم إلا أنهم أكرموا الرسل وردّوا ردا جميلا وأرسلوا الهدايا للنبي محمد ﷺ، أمّا الذين وقفوا موقفا معاديا فإن المذكّرة التي أرسلت إليهم قد أشعرتهم بأن هناك قوة من داخل الوطن العربي تهدّد نفوذهم.

3. أشعرت المذكرات الدبلوماسية أن الإسلام دين رسالة وسلام، وليس هدفه تهديد الملك وإزالته وإنما هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالرسائل أشعرت الملوك بأنهم على ملكهم باقون إذا أسلموا وحكموا بحكم الإسلام.

4. أشعرت الدولة الإسلامية الملوك والأمراء بأن الإسلام دين حضارة ومعاصرة ويستخدم الوسائل الدبلوماسية لمعالجة الأمور بين الدول وإنه لم يلجأ للقوة العسكرية.

5. لقد شعر الملوك والأمراء أن الإسلام دخل إلى دولهم عن طريقهم، وهو الباب الصحيح الذي يستطيعون ترتيبه وتنظيمه بأنفسهم.

6. لقد حققت المذكرات الدبلوماسية انتشار الدين الإسلامي بصورة واسعة، ونقله إلى أرجاء متعددة وبعيدة عن مركز الدولة الإسلامية في المدينة، وهذا الانتشار لم تحققه أية وسيلة اتصالية أخرى، فحققت للإسلام بذلك صفة العالمية.

7. وفّر نقل المذكرات الدبلوماسية بواسطة الرسل خبرة عن الدول التي حملوا إليها الرسائل، ممّا تطلب من النبي محمد ﷺ أن يعين بعض رسله ولاة في هذه الدول.

8. كان نتيجة نجاح المذكرات الدبلوماسية في مخاطبة الملوك والأمراء أن استمرّ تبادلها حتى بعد دخولهم الإسلام، فأصبحت الرسائل الدبلوماسية الوسيلة الوحيدة للتوجيه ومعالجة الأمور.

يمكننا القول في هذه البعثات النبوية أنها حركة إعلامية، فعالة وحاسمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي اعتمدت كوسيلة لنشر الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق فهي بمثابة وسيلة إعلام دولية.

2.5. الظروف التاريخية لمراسلة الملوك والأمراء: إن رسائل النبي ﷺ لم تكن مؤرخة بتاريخ، إذ لم يكن ثمة تاريخ معتمد أو متفق عليه بين العرب، لكن المؤرخين اتفقوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بإرسال الرسائل مرجعه من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام[30]، ومن ثمّ فالظروف التاريخية لمراسلة الملوك والأمراء تتمثل في ظروف معاهدة صلح الحديبية التي عقدها الرسول ﷺ مع مشركي قريش في ذي القعدة من سنة 6 للهجرة (مارس 628 م)، فلما تقدم التطور في الجزيرة العربية إلى حد كبير لصالح المسلمين، أخذت طلائع الفتح الأعظم ونجاح الدعوة الإسلامية تبدو شيئا فشيئا، وبدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام، فقرر الرسول ﷺ اتخاذ خطوة لم تخطر على البال من قبل، وهي زيارة مكة، وكان هدف الزيارة الظاهر أداء العمرة، ولكنّها كانت في واقع الأمر خطة محكمة التدبير، الغرض منها إضعاف مركز قريش الروحي، بكشف التناقض في موقفها أمام كافة العرب، فهو ﷺ قد وضع قريشا في موقف لا تحسد عليه حين أعلن بشكل قاطع أن غرضه من زيارة مكة لم يكن العدوان، بل كان غرض كل عربي آخر، وهو أداء الفريضة الدينية، التي لا تستطيع قريش نكرانها أو منعها دون أن تناقض تصريحاتها المعلنة الخاصة بحرية العبادة في الكعبة[31].

وصدقت فراسة رسول الله، وتحققت نبوءته بأن أسهل طريق لنشر الدعوة وتعميق جذورها لا يكون في جو من الحروب والصراعات الدموية بل في جو من الأمن والاستقرار، فقد أتاحت هدنة الحديبية للدعوة الإسلامية أن تشق طريقها بعيدا عن كيد قريش ودسائسها، فليس غريبا أن تحرز من التقدم خلال عامين اثنين ما لم تحرزه خلال عمرها الطويل قبل ذلك[32]. فما إن تم التوقيع على صلح الحديبية حتى اختلط المسلمون بالمشركين، وتحدّثوا معهم عن الإسلام، وجادلوهم وناظروهم وأسمعوهم كلام الله جهرة آمنين غير خائفين، فظهر من كان متخفيا بالإسلام، وتركت الحرية للناس أن يدخلوا في دين الله أو يظلوا على دينهم، فقد دخل النبي عليه الصلاة والسلام بعد 22 شهرا فقط من هذا الصلح، يقود جيشا قوامه عشرة آلاف مجاهدا اتجه بهم لفتح مكة بعد نقض قريش المعاهدة، وكان معظمهم من الذين دخلوا هذا الدين بعد الحديبية[33].

وقد رأى الرسول ﷺ أثناء هذه الهدنة أن الظروف مواتية لنشر كلمة الإسلام، ليس داخل الجزيرة العربية فحسب بل خارجها أيضا، وذلك بين من يتسنى له الاتصال بهم من ملوك العالم وأمرائه.

فطلب النبي محمد ﷺ من أصحابه حضور جميع المسلمين للمسجد، وبعد صلاة الفجر بمصلاه، التفت عليهم فاختار منهم فبعثهم رسلا إلى الملوك والأمراء – فبعث ستة نفر في يوم واحد في شهر محرم سنة سبع للهجرة وجعل كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، وكان اختيار النبي محمد ﷺ لهؤلاء الرسل يقوم على حسن الصورة والمنظر والفطنة والذكاء ممن لهم الخبرة والعلم بالأمم التي أرسلهم إليها[34].

إن إرسال النبي محمد ﷺ ستة أشخاص في يوم واحد يعد عملا دبلوماسيا رائعا، ويدل على أن النبي محمد ﷺ لديه العلم والدراية بالقواعد الدبلوماسية ذلك أن القانون الدولي المعاصر يعد الدول أشخاصا قانونية متساوية فلا يجوز تفضيل دولة على أخرى وإن اختلفت في عدد السكان والمساحة والقوة الاقتصادية أو العسكرية، وإن إرسال رسل النبي محمد ﷺ في وقت واحد يعني أنه لم يفضل دولة على أخرى وعامل الجميع على قدم المساواة، فلو أرسلهم متواترين واحدا بعد الآخر لكان ذلك يعني أنه فضّل دولة على أخرى، فيكون تجاوب هذه الدول بحسب أسبقية تقديرها، ولهذا فإن النبي محمد ﷺ قد عمل بقاعدة المساواة بين الدول ولم يفضّل إحداها على الأخرى[35].

أَخْبَرَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا دَلْهَمُ بْنُ صَالِحٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الْهُذَلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ ، وَالزُّهْرِيِّ قَالَ : وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ فِرَاسٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ: وَافُونِي بِأَجْمَعِكُمْ بِالْغَدَاةِ وَكَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ حُبِسَ فِي مُصَلاَّهُ قَلِيلاً يُسَبِّحُ وَيَدْعُو، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَبَعَثَ عِدَّةَ إِلَى عِدَّةٍ ، وَقَالَ لَهُمُ : انْصَحُوا بِاللَّهِ فِي عِبَادِهِ ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتُرْعِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ ثُمَّ لَمْ يَنْصَحْ لَهُمْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، انْطَلِقُوا وَلاَ تَصْنَعُوا كَمَا صَنَعَتْ رُسُلُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّهُمْ أَتَوُا الْقَرِيبَ وَتَرَكُوا الْبَعِيدَ فَأَصْبَحُوا يَعْنِي الرُّسُلَ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : هَذَا أَعْظَمُ مَا كَانَ مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي أَمْرِ عِبَادِهِ[36].

إن رسول الإنسانية لما عقد العزم على إبلاغ رسالة الإسلام العالمية للناس كافة، إنفاذا لأمر ربه، درس الأوضاع العالمية والمحلية من حوله دراسة عميقة، قبل أن يقوم بإرسال البعثات الدبلوماسية، ويكتب إلى ملوك وأمراء العالم في عصره ، فعلى المستوى المحلي درس أوضاع القبائل العربية من جميع نواحيها بعد توقيع معاهدة الحديبية مع قريش، وقام بتحليل مناطق القوة والضعف فيها.

وتبين من دراسة أوضاع القبائل التي تقطن الجزيرة ما يلي[37]:

- قبيلة قريش التي وهن العظم منها، وأرهقتها الحروب المتوالية مع رسول الله ﷺ، واضطرت إلى طلب الصلح وعقد الهدنة.
- القبائل الوثنية في وسط الجزيرة، وليس لها وزن إذا ما قورنت بقوة المسلمين وتفوق أعدادهم، ولاسيما بعد أن خاضوا عدة حروب مع قريش وغيرها من القبائل.
- مملكة اليمامة، ولها ما لها من القوة والتنظيم، وتشكّل شيئا من الخطورة.
- مملكة عمان في شرق الجزيرة العربية، ولها اتصال بملوك الفرس، ومن المحتمل أن تنفّذ أوامرهم إذا ما أرادوا أن يوجّهوا ضربة شديدة تنال من قوة المسلمين ودولتهم.
- قبائل الشمال، وهم مؤتمرون بأوامر حكّام الروم.
- مملكة البحرين، ولها من الخطورة مثل ما لخطورة مملكة اليمامة وعمان.
- مملكة اليمن وقبائل الجنوب حولها.
- القبائل اليهودية، وقد ظهر غدرهم وانكشفت خيبتهم، وأجليت قبائل بني قينقاع وبني النضير، وبني قريظة إلى تخوم الشام، ولا يؤمن شرهم، ولا غدرهم.

وهذه الأوضاع تتطلب سياسة حكيمة تناسب أهميتها، وتتبع في حزم مواطن الخطورة فيها، فاستغل الرسول ﷺ هذه الأوضاع في أسلوب كتابة الرسائل إلى الملوك والأمراء ، تلك كانت الظروف التاريخية

التي سهّلت للرسول ﷺ مراسلة ملوك وأمراء العالم وفيما يلي سنتعرف على خصائص وصفات رسل ومبعوثي الرسول ﷺ.

3.5 الجانب الشكلي لرسائل الرسول ﷺ إلى ملوك وأمراء العالم: ولقد اعتمد النبي محمد ﷺ أسلوبا دبلوماسيا ما زال معتمدا ذاته في الوقت الحاضر، من ناحية شكل المذكرة الدبلوماسية، وسنتناول شكل المذكرات الدبلوماسية للرسول ﷺ في الفقرات التالية[38]:

- **شعار المذكرة الدبلوماسية:** تحرر المذكرات الدبلوماسية بصيغة موحدة ومتقاربة، وألفاظ محددة، وإن اختلفت مضامينها تبعا لاختلاف الموضوعات التي تعالجها، وتبدأ المذكرات الدبلوماسية بشعار الدولة الخاص بها والذي تتميز به عن الدول الأخرى، فلكل دولة أن تضع شعارها على أوراقها الرسمية تختاره بما يناسبها، ويوضع في أعلى المذكرة والغرض منه التعريف بالدولة.

وكان العرب قبل الإسلام يفتتحون مذكراتهم ومراسلاتهم بعبارة "باسمك اللهم" و"باسم اللات والعزة"، وقد بدأ النبي محمد ﷺ مذكراته بالعبارة الأولى "باسمك اللهم"، وكتب في ذلك أربع مذكرات دبلوماسية، ثم نزلت "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا" (هود:41) فكتب عبارة "بسم الله"، وبعد أن نزلت **"قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا"** (الإسراء: 110) فبدأ يكتب مراسلاته الدبلوماسية **"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"** (الفاتحة: 1).

وفي هذا الصدد قال النبي ﷺ: "إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن" وفي رواية عن أنس أن النبي ر قال: "إذا كتبتم كتابا فجوّدوا بسم الله الرحمن الرحيم تقضى لكم الحوائج وفيه رضا الله"[39].

- **البدء بتعريف المرسل:** لقد استخدم النبي محمد ﷺ هذا الأسلوب في الرسائل التي أرسلها إلى الملوك والأمراء وشيوخ القبائل، حيث تبدأ بذكر اسمه ﷺ وصفة النبوة.

فجاء بالرسائل "من محمد رسول الله إلى..." أو "هذا كتاب من محمد النبي إلى..." أو "هذا ما كتبه النبي محمد لـ..." [40].

وبذلك فقد بدأ النبي محمد ﷺ بتعريف نفسه أولا ببيان صفته، وبعد ذلك يذكر اسم المرسل إليه، وقد عدّ النبي محمد ﷺ ذكر اسم المرسل سنّة واجبة على كل مسلم عند مخاطبته المرسل إليه، وذكر النبي محمد ﷺ اسمه أولا في المذكرات الدبلوماسية يقوم على الأسس الآتية[41]:

1- أن النبي محمد ﷺ هو رئيس الدولة وأن هذه الصفة تخوله هذا الامتياز، وقد أراد بذلك الإشعار بأن يخاطب الدول باسم دولة المسلمين، فلو خاطبهم بأسمائهم أولا لما عبر عن صفة الدولة.

2- أن النبي محمد ﷺ هو نبي مرسل، وليس من المنطق أن يقدم أي شخص على اسمه مهما كانت صفته.

3- أراد النبي محمد ﷺ الإشعار بقوة الإسلام.

- **طريقة نقل المذكرات الدبلوماسية:** لقد اعتمد النبي محمد ﷺ أسلوب البعثات الخاصة المعمول بها في القانون الدولي المعاصر طبقا لاتفاقية البعثات الخاصة لعام 1969، أما النوع الثاني وهو أسلوب البعثات المعتمدة فقد شهد هذا النوع تطبيقا لأول مرة في عهد النبي ﷺ عندما أرسل ممثلين له مقيمين[42]:

الأول إلى البحرين: وهو العلاء الحضرمي.

الثاني إلى عمان: وهو عمرو بن العاص حيث عين ممثلين عنه مقيمين دائمين يتصلان به مباشرة، ونعتقد أن هذا الأسلوب شهد أول تطبيق له في التاريخ الدبلوماسي كان في عهد النبي ﷺ.

وكانت الوسيلة العامة لإرسال المذكرات الدبلوماسية للملوك والأمراء وشيوخ القبائل التي اعتمدها النبي محمد ﷺ هي ما يعبر عنها في الوقت الحاضر بالبعثات الخاصة التي تحدد مهمتها في إيصال المذكرات وشرحها للمرسل إليه.

- **تحديد اسم المرسل إليه ولقبه**: عندما ترسل الدول مذكرات دبلوماسية إلى ملوك ورؤساء الدول الأخرى فإنها تذكر أسماء هؤلاء ومناصبهم وأفضل الألقاب التي يوصفون بها، والتي اختاروها لأنفسهم كصاحب الجلالة أو الفخامة، أو السيادة وغيرها من الألقاب المحببة لديهم.

وكان النبي محمد ﷺ يخاطب الملوك والأمراء وشيوخ القبائل بأسمائهم ومناصبهم وألقابهم، كعظيم الروم أو عظيم فارس وملك القوم، وصاحب المملكة، فعلى الرغم من أن هؤلاء مشركين، إلا أنهم يمثلون قادة دول لها مكانتها في العلاقات الدولية، وأن احترامهم إنما يطيّب أنفسهم ولا يشعرون أن الإسلام جاء لسب سلطانهم[43].

- **تحية المرسل إليه:** وكان النبي محمد ﷺ يبدأ مذكراته بالتحية ولما كانت غالبية المخاطبين ليسوا مسلمين، وأن صيغة السلام لا تكون إلا على المسلم، فإن السلام والوارد في المذكرات الدبلوماسية متوقف على إسلامهم فكانت العبارة: "السلام على من اتبع الهدى" أو "السلام على من آمن بالله" هذا عند إسلام المرسل إليه، كذلك وردت التحية في المذكرات الدبلوماسية التي أرسلها النبي ﷺ: "سلم أنت" أو "السلام عليك" أو "أحمد الله لك" وعند الانتهاء من التحية يورد عبارة "أما بعد" وهي تعني الدخول بالموضوع بعد السلام.

إن البدء بالسلام على الرغم من أنه من متطلبات المذكرات الدبلوماسية إلا أنه يعد من قيم الأخلاق الفاضلة، وأنه يهدّئ من نفوس المرسل إليهم ويخفف من الجفوة والتصلب، ويليّن النفوس المتصلبة ويطيّب من خواطرها، ويشعر المرسل إليه أنه يتعامل مع نبي ورسول كريم يجيد العادات والتقاليد الدولية المتبعة بين الدول[44].

4.5. الجانب الضمني لرسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء العالم:

أ- الوضوح والجلاء: نجد أن معظم كلمات ومفردات نصوص رسائل رسول الله ﷺ، مختارة بعناية، تتبوأ كل مفردة منها مكانها المناسب ضمن النسيج العام للنص، جاءت واضحة مفهومة، لا يحتاج القارئ عند قراءتها إلى جهد أو عناء لفهم مفرداتها، وهو الأمر الذي يجعل من جمل نصوص هذه الرسائل تنساب تلقائيا ويستدعى بعضها بعضا، فلا يدرك القارئ إلا و قد أتم النص[45].

ب- مراعاة مقتضى الحال: نقصد بمراعاة مقتضى الحال صياغة الكلام بكيفية تتماشى ووضعية المرسل إليه، وقد تحدثنا عن هذا سابقا، حيث جاء في رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى تعريف به ﷺ بقوله: **"فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة....** ". وذلك يعود إلى أن كسرى لم يكن له علم بالرسالات السماوية، ولا عن مجيء محمد رسول من الله إلى الناس كافة.[46]

ج- الإيجاز: كان أسلوب رسول الله ﷺ في الكلام والتعبير يعتمد أساسا على الإيجاز غير المخل بالمعنى، بل الذي يزيده دقة ووضوحا، فبكلمات قليلة وبعبارة قصيرة يعبّر ﷺ على معان كثيرة[47]، فلا يتعدى أطول نص منها بضع أسطر، مع ما تحمله من أفكار وحقائق واسعة وعميقة، وهو أمر مستحب في رسائل الرؤساء والحكام نظرا لدقة وحساسية المواضيع المعالجة من جهة، واحتراما لشخصية متلقيها وأهمية منصبه من جهة أخرى.

د- أسلوب التصوير: يحاول الرسول ﷺ من خلال أساليبه التصويرية الإقناعية أن ينقل الصورة العقلية المعنوية من إطارها غير المحسوس إلى إطار محسوس، ومثال ذلك ما جاء في رسالة رسول الله ﷺ إلى هوذة بن علي بقوله: **"واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر"**، يريد من خلالها الرسول ﷺ أن يعلم المتلقي بأن الإسلام سينشر وسيشمل بلده وبلدان أخرى، بل سيصل إلى أبعد مكان

يمكن أن تطأه قدم إنسان، واستعمل لفظي الخف والحافر للجمل والخيل تعبيرا عن وسيلتين كانا متوفرتين للتنقل والحرب.

وفي عبارة أخرى **"أجعل لك ما تحت يديك"** أراد من خلالها الرسول ﷺ أن يبين له أنه سيبقيه على كرسي الحكم إذا هو أسلم. وقد جاءت صياغة نص الرسالة على هذا النحو لتتكيف مع مستوى المرسل إليه الذي كان شاعر قومه وخطيبهم آنذاك[48].

خاتمة:

علمنا أن الدعوة إلى الله هي الشغل الشاغل لرسول الله، وقد أبلغها لقومه، وأهل جزيرته، وجاهد في ذلك حق جهاده ولم يكتف بالجزيرة وأهلها، بل عمد إلى إبلاغ دعوته، ونشر رسالة الإسلام العالمية إلى جميع ملوك وأمراء الأرض في زمانه لأنه رسول إلى الناس كافة، ولأنّ الإسلام دين رب العالمين للإنس والجن على سواء، فالرسالة عالمية، والدولة عالمية، ورسول الله هو رسول رب العالمين للناس أجمعين، فكتب إلى ملوك وأمراء زمانه، وأرسل الدعاة وخيرة السفراء المدربين الخبيرين بأمر هذه الدعوة وهذا الدين ليحاوروا ويناقشوا ويشرحوا أبعاد هذه الرسالة.

فتكمن أهمية هذه الممارسة الإعلامية لرسول الإسلام فيما يلي:

1- أن الدولة الإسلامية في المدينة كانت في مراحل حياتها الأولى، وكان أعداء الإسلام يتربصون به في كل مكان بل أن الرسول ﷺ لم يمتد بعد ليغطي حتى مسقط رأسه، بل أنه منع من دخولها وعقد صلحا اعتبره المسلمون مسّا بكبريائهم، أي أن محمدا ﷺ على الرغم من أنه لم يتمكن من بسط دعوته بعد في أحب الأماكن إلى نفسه، إلا أنه لم ينس الهدف الأسمى الذي بعث من أجله وهو التوجه إلى العالم وإبلاغهم بالأمانة التي حمّله الله إيّاها وطلب منه تعميمها لكل الناس.

2- استطاع الرسول ﷺ أن يعمّم الدعوة في أنحاء الكرة الأرضية من خلال رسائله ورسله إلى ملوك الأرض كافة، والتي كانت تدل صراحة على وجوب الخضوع للسيادة الإسلامية، واستطاع أيضا من خلال اتصاله بهؤلاء الملوك والحكام من جس نبضهم ومعرفة نواياهم اتجاه الإسلام ودولته فعلى الرغم من عدم استجابتهم لدعوة رسول الله ﷺ إلا أنه ﷺ أعلمهم.

3- أشعر رسول الله ﷺ هؤلاء الملوك والحكام أن الدين الذي يدعو إليه هو دين وحضارة، فكانت رسائله تجسد مبدأ الحكمة والموعظة الحسنة، فكان رسله ﷺ يثبتون الطمأنينة في نفوس هؤلاء على ملكهم، حتى أولئك الذين عادوا الإسلام وقاموا بمحاربته، فلم يكن الغيظ والحقد ليغير هذه السياسة بل كان إكرامهم هو الأساس بعد دخولهم الإسلام أو حتى بعد انقطاعهم عن حربه.

الهوامش:

[1] المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص158.

[2] ابن هشام، تحقيق وضبط مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، السيرة النبوية، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون سنة، ص58.

[3] حسيني خديجة :إستراتيجية الاتصال في العلاقات الدبلوماسية لدولة الإسلام الأولى ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، 2004، ص93.

[4] ميساء علي روابدة، عزيزة صالح عليوة: السياسة الخارجية في ضوء السنة النبوية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد 12، العدد 2، جامعة الشارقة، ديسمبر 2015، ص 93- ص 122.

[5] عبد الهادي التازي: الحصانة الدبلوماسية في مفهوم السيرة النبوية، مجلة المناهل، العدد 17، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، المغرب، 1 مارس 1980، ص39-ص 46.

[6] المهيري سعيد عبد الله حارب : العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية دراسة مقارنة، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص340.

[7] حسين سهيل الفتلاوي : دبلوماسية النبي محمد ﷺ (دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر)، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص46.

[8] فاضل زكي محمد: الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، جامعة بغداد، بغداد 19781، ص25.

[9] خديجة حسيني: مرجع سبق ذكره، ص115.
[10] نفس المرجع السابق، ص87.
[11] نفس المرجع السابق، ص90.
[12] حيدر بدوي صادق :مستقبل الدبلوماسية في ظل الواقع الإعلامي والاتصالي الحديث، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية 19961، ص16.
[13] المهيري سعيد عبد الله حارب، مرجع سبق ذكره، ص340.
[14] نفس المرجع السابق، ص295.
[15] نفس المرجع السابق، ص 306- ص316.
[16] الدقس كامل سلامة: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين،ط1، دار عمار،عمان، 1994، ص 494.
[17] المهيري سعيد عبد الله حارب، مرجع سبق ذكره، ص291.
[18] نفس المرجع السابق، ص324.
[19] الخطيب محمد عجاج: أضواء على الأعلام في صدر الإسلام، خصائصه، دعائمه،وسائله، مناسباته ومراكزه، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص ص 58،59.
[20] القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط1، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص292.
[21] ابن كثير: أنظر السيرة النبوية، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، ص76.
[22] فوق العادة سموحي: معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية، مكتب لبنان، بيروت، 1996، ص334.
[23] المهيري سعيد عبد الله حارب: مرجع سبق ذكره، ص179.
[24] محمد الصادق عفيفي: المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة. دون سنة، ص233.
[25] أحمد أبو الوفا محمد: المعاهدات الدولية في الشريعة الإسلامية،ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص16.
[26] سهيل حسين الفتلاوي: مرجع سبق ذكره، ص265.
[27] نفس المرجع السابق، ص288.
[28] نفس المرجع السابق،ص229.
[29] نفس المرجع السابق، ص230.
[30] عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر حلواني: عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى ملوك والأمراء، ط1، دار القلم، دمشق، 2003، ص88.
[31] عون الشريف قاسم :نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ: دراسة في وثائق العهد النبوي،، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1981، ص ص 65- 66.
[32]عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون والروم في عصر النبوة: دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص71.
[33] الدقس كامل سلامة، مرجع سبق ذكره، ص485.
[34] سهيل حسين الفتلاوي، مرجع سبق ذكره، ص204.
[35] نفس المرجع السابق، ص205.
[36] محمد بن سعد: الطبقات الكبرى،ج 1، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2002، ص 264.
[37] كامل سلامة الدقس، مرجع سبق ذكره، ص ص 490،491.
[38] سهيل حسين الفتلاوي، مرجع سبق ذكره، ص231.
[39] محمد عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير،ط2، ج1، دار المعرفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص554.
[40] علي الأحمدي الميانجي: مكاتيب الرسول ﷺ، ط1، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، د.م.ن، 1998، ص 3.
[41] سهيل حسين الفتلاوي، مرجع سبق ذكره، ص 232.
[42] نفس المرجع السابق، ص233.
[43] محمد رضا: محمد ﷺ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص263.
[44] علي الأحمدي الميانجي، مرجع سبق ذكره، ص6
[45] خديجة حسيني، مرجع سبق ذكره، ص 220
[46] نفس المرجع السابق، ص 222.
[47] نفس المرجع السابق، ص 222.
[48] نفس المرجع السابق، ص 226.